في رياض الشعر

﴿ المراسلات السامية ﴾

كنا قد نشرنا في السنتين الأولى والثانية « للزهور » شيئاً من المراسلة الشعرية التي دارت بين الشاعرين الكبيرين المرحوم محمود باشا سامي البارودي والأمير شكيب أرسلان ، فلاق ذلك الشعرُ النفيسُ استحساناً لدى الجميع . وها نحن ننشر اليومَ قصيدةً أرسلها الأمير شكيب ، وهو في طبريّة ، الى المرحوم محمود سامي باشا يتشوّق اليهِ ويعزّيه بفقد كريمةٍ له :

أيُّ رِيٍّ بالصُّحفِ والأَقلامِ لفؤادٍ الى لقائِك ظامِ
وتناجي الأرواحِ بُعداً وفي القر بِ تَلاقي الأرواحِ والأجسامِ
كلما شئتُ شَدَّ رحلي إلى مصـ ـر نَبتَ بي عوائقُ الأيّامِ
تعتفي سَيْرَني وبيني وبين النيل لم يبقَ غيرُ سهمٍ لِرامِ
ولقد طالما تمثّلتُ ذاك المـــاء يجري وكنتُ في الأوهامِ
كم أراني الخيالُ لقياً وهذا غيرُ ما جاد طيفكم من لمامِ
وجذبنا من الحديث غُصوناً وسهرنا الى نحولِ الظلامِ
وروينا من القريضِ الذي تسـ ـكرمنهُ العقولُ من دون جامِ
وَنَجزْنا الى القلوب عهوداً قد تمادت كذاكَ شأنُ الذِمامِ
سيقولُ الأميرُ ماذا الذي عاقَ وماذا يحولُ دون المرامِ
ما نأت دارُ من تُحبُّ وعيبٌ نقصُ ذي قدرةٍ على الإتمامِ
بيننا ليلتانِ لكن مع الغيـ ـبِ سواهُ يومانِ أو ألفُ عامِ
وعزيزُ اللقاءِ والإلفُ لم تشـــحط بهِ الدارُ زائدٌ في الهيامِ

ليس ما بيننـا سوى البحرِ يومٍ　　نٍ ولـكن سواهُ بحرٌ طامِ
دون مصرٍ بحران منهُ ومن آ　　خرَ بحرُ الوشاة والنُّمَّامِ
ذاك بحرٌ تسيرُ فيـهِ سفينٌ　　من حظوظ اللئام كالأعلامِ
وكلامٌ يدرونهُ أنّهُ الإف　　كُ ولـكن يبغون صيدَ الحُطامِ
ومَقالٌ إنّا من العصبة الفتـ　　ـيانِ والطـاعنين في الأحكامِ
أنا أرجو في مصرَ لقيا عظامٍ　　ودُّهم بات سارياً في عظامي
صلةُ الإلّ بيننـا وأرى الآ　　داب أقوى فينا من الأرحامِ
وحنيني الى الذي طالمـا اشتقـ　　تُ بعيداً فكيفَ وهوَ أمامي
الأميرُ المحمود بالاسمِ والفعـ　　ـل وكم خالفَ الفعالُ الأسامي
سيدٌ إن تحجَّ كعبةَ عليا　　هُ تجِدْ ما نسيت منهُ الموامي
باهرُ القدرِ إن تزِنْهُ مع الأقو　　امِ في الفضلِ مال بالأقوامِ
مُفردٌ خافهُ الزمانُ فناوا　　هُ كذاك العِظامُ حربُ العِظامِ
جدَّ في حصرِ بأسهِ وهوَ لو جا　　لَ لقيدوا طُرًّا بغير خزامِ
كحسامٍ حبا سناهُ بغمدٍ　　وسواهُ غمدٌ بغير حُسامِ
ولع الدهرُ بالغرائب والبخـ　　ـتُ أحَلَّ الليوثَ تحت النعامِ
أيُّها السيّدُ الهُمـام ومن يكفـ　　ـيهِ ان قيل فيهِ « محمود سامي »
لكَ ذكرٌ قد طار في الشرق والغر　　بِ وفضلٌ أدناهُ فوق المامِ
هل تراهم أخفوا علاكَ وهل تخـ　　ـفى فِعالُ الليوث في الآجامِ
ولعمري ذكاكَ مثلُ ذكاء　　هل تغيب الشموسُ طيَّ الغمامِ
ولأنتَ الذي نشرتَ بذا العـصرِ قريضاً طوى أبا تمّامِ
من رواهُ ولم يخَلْ ربَّهُ قـد　　عاصر الوحيَ والتقى بالتهامي
أدَبٌ حزتَهُ وليس كذا القـسم من الحظّ سائرُ الأقسامِ

ولعمري مع ذاك أيُّ علاءٍ لم تكن منهُ فى الذّرى والسنام
أخَّرَ الدهرُ منك شهماً تسامى أن ينال الجوزاءَ بالابهامِ
ولئن جزتَ عن وزارةِ أمرٍ لم تزل صدرَ دولةِ الأفهامِ
إن صلاك الزمانُ حرباً عواناً فقديمٌ عدوانهُ للكرامِ
ولعمري الذي دهاك اخيراً كان وقعَ السهام فوق السهامِ
لا تُخَلْ كنتَ فى الفجيعةِ فرداً كلُّ قلب لجرح قلبك دامِ
قد سكبنا نظيرَ شعرك دمعاً فى نواحٍ كنوح وُرق الحمامِ
إن بكينا فقد بكينا على حز نك والثُّكلُ أعظم الآلامِ
والذي راح فليهنّأ على فر قة دارٍ ليست بدار مُقامِ
هـذه سنّةُ الليالي فأدعو ك الى الصبر سنّةِ الاسلامِ

شكيب ارسلان

الشاعر والليل والطيف

اللهَ في وجدٍ وفي مأملِ من لي بعود الزمنِ الأوّلِ
قد كنتُ أشكو عذّلي في الهوى فصرت مشتاقاً الى عذّلي
ملَلْتُ عذبَ اللوم جهلاً بهِ لو كنت أدري الحبَّ لم أملل
ما أولعَ القلبَ بما يجتني وأفتنَ العينَ بما تجتلي
أهفو لسهدي . ليتَ لي مثلَهُ وليتني في ليليَ الأليل
إذْ أترك الأنجم في أفقها شوقاً الى نبراسيَ المُشعَلِ
وأُحكم الكوّةَ دون الصبا وأوصدُ البابَ على الشّمأل
وأعتلي كرسيَّ مستكبراً كالمَلَكِ فوق العرشِ إذ يعتلي
سيجارتي مشعلة في فمي ثم يراعي من على أنملي

وقهوتي إبريقُها مُتَرَعٌ　　اذا أنا أفرغتــهُ يمتلي
في حجرةٍ كالقلب في ضيقهـا　　لو حُمِّلَتْ غيري لم تحملِ
تَسمعُ مني في سكون الدُّجى　　ما يسمع الروضُ من البللِ
لهُ يطيبُ اللَّبْثُ في عشه　　ولي يطيب اللبث في منزلي
إنّا اقتسمنا الليــلَ ما بيننا　　لهُ الكرى في الليل والسهد لي
كتبي تناجيني فتمشي بهـا　　عيناي من شكل الى مشكل
ما بين أوراقٍ بهـا غضةٍ　　وبين أوراقــ بها ذبَّل

* * *

يا خلواتِ الوحي في تيهــه　　ملأتِ قلبَ الشاعر المختلي
سوانحي منكِ وفيكِ انجلت　　فأنزلي الآياتِ لي أنزلي

* * *

يا طيفهـا لا ترتجعْ معجلاً　　لا تُقْنعُ الزورةُ من معجل
إني وحدي . حجرتي مأمَنٌ　　فأنَسْ الى صبك . لا تُجْفِلِ
أُدنُ قليلاً . قد أطلت النوى　　جُدْ مرةً . بالله لا تبخل
لو لم تكن تشتاقني نفسهـا　　يا طيفها ما كنتَ بالمقبل
عيناك عيناها كذا كانتا　　والوجــه ذاك الوجهُ . لم يبدل
أعرف لحظيهـا برغم النوى　　فكم أصابا قبـل ذا مقتلي

* * *

جسي بهذا الكفِ صدري ترَي　　ما فيهِ من نار جوى موغل
أظلَّني همٌّ فلم أنتبــهْ　　الا وقـد أوغلتُ في المجهل
إن كان هذا ما دعوه الهوى　　فشـل هذا الليل لا ينجلي
يا مهجتي . يا جلدي . يا صِبا　　إن لم أمت وجداً فلا بد لي

﴿ من زوايا الذاكرة ﴾

وناضرةٍ خفَّ فيها النسيمُ فخفَّ الى قصدِها محملي
هواهُ أرقُّ من العاطفا تِ وماهُ ألذُّ من السلسل
تذكرتُ عاطفةَ المغرَمينَ فجاورتُ منعطفَ الجدولِ
وآلمني مُجتَلَى وَردةٍ تكادُ تذيبُ حشا المجتلي
وذابلةٍ من بناتِ الحقولِ ولولا الظما قطُّ لم تَذبلِ
أبخلُ الطبيعةِ أودى بها وحاشا الطبيعةَ لم تبخلِ
ستقطفُها بعد إهمالها يدُ الموتِ كالولدِ المُهمَلِ

***

حسدتُ الزهورَ لأن الزها ور كاخوانِ جامعةٍ مُثّلِ
وممّا يُجدِّدُ ذِكرى الهوى هوا بين أغصانها الميّلِ
فهذا يقولُ لذاكَ : اعتنقْ وذاكَ يُشيرُ لذا : قَبِّلِ
فما لبني جنسنا الأكرمين قد افترقوا كالمها الجفّلِ
يُبيدُ القويُّ حياة الضعيـ ـفِ ويودي المسلّحُ بالأعزلِ
فأين ، وداؤكمُ الاختلا فُ ، أطباء دائِكمُ المُعضِلِ
فمرتفعونَ لأوج السماءِ وهاوون للدَرَكِ الأسفلِ
وأجبنُ من ضافرٍ في الحياةِ وأضرى من الأسَدِ المُشبلِ
وظلمةِ ساد منها السكو نُ بليلٍ بعيدِ المدى أليلِ
بصرتُ بها تحتَ جنحِ الظلا مِ بأشباحِ ضامرةٍ هزّلِ
رمت بهم لمهاوي الشقاءِ يدُ الزمَنِ القلبِ الحوّلِ
فهم يُنشِدون نشيداً علـ ـهِ ملامحُ حالهمِ المجملِ
فكم نظرَ الناس من تحتهم وهم ينظرون لنا من علِ

محمد رضا الشبيبي

(٤٧)